متخذاً من اناءٍ من الخزف او الزجاج في اسفلهِ ثقبٌ دقيق يخرج منهُ الماء قطرةً قطرةً فيسقط في اناءٍ آخر عليهِ خطوط تدل على الساعات وربما كانت هذه الخطوط على الاناء الأعلى فاذا بلغ الماء احد هذه الخطوط دلّ على الساعة من ساعات النهار او الليل . ومعلومٌ ان هذه الآلة لا تقسم الوقت قسمةً مدققة لان قَطَران الماء يسرع او يبطئ بحسب ارتفاع الماء في الاناء الاعلى او انحطاطهِ فلا يخرج منهُ في الاوقات المتساوية مقادير متساوية ومع ذلك فانها كانت شائعة الاستعمال عند جميع الامم المتمدنة في تلك العصور ولا سيما في مصر وفينيقيا وبلاد اليونان والكلدان وكان كهان المصريين يستخدمونها في رصد حركات الكواكب واليونان يستعملونها في المحاكم لتقدير الاوقات التي يتكلم فيها اصحاب الدعاوي

على ان الافكار لم تزل موجهةً الى تصحيح هذه الآلة والبلوغ بها الى تمام الدقّة والضبط واشهر من اشتغل بذلك اكتازيبيوس الرياضي الاسكندري المشهور نحو سنة ١٣٥ قبل الميلاد فغيّر هيئتها وعمل لها دواليب مضرّسة ينصبّ الماء عليها فيديرها وبدورانها تحرك تمثالاً صغيرًا بيدهِ مخصرةٌ اي عصاً دقيقة وبجانبهِ اسطوانة مرسومٌ عليها عدد الساعات فاذا ارتفع التمثال دلّ طرف العصا على الساعة كما تراهُ في الرسم ويقال ان ساعة الرشيد كانت آتيها من هذا النوع . ثم تفننوا فيها فاستبدلوا التمثال

والمخصرة بابرةٍ تدور على ميناءٍ يشبه الميناء المستعمل لساعاتنا اليوم وهذه الابرة تتصل بطرف محورٍ متحرك قد لُفَّت عليهِ سلسلةٌ منوطٌ بأحد طرفيها عوّام وبالآخر ثقل اخفّ قليلاً من العوّام فاذا ارتفع الماء في الاناء الاسفل ارتفع العوّام معهُ وهبط الثقل من الطرف الآخر فدار المحور وادار الابرة المتصلة بطرفهِ فدلّت على عدد الساعة المرقوم على الميناء

واستمرّ استعمال هذا النوع من الساعات الى اواخر القرن العاشر بعد الميلاد وحينئذٍ ظهرت الساعات ذات الدواليب فعدل الناس اليها واهملوا الساعات المآئية ويقال انهُ لا يزال الى اليوم من هذه الساعات في نرمنديا وهي مصنوعةٌ من اساطين من القصدير ذات حواجز باطنة في كلٍّ منها ثقبٌ فاذا مرّ الماء من حاجزٍ الى آخر دارت الاسطوانة

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

عثرنا على نسخةٍ من هذه الرسالة في احدى المكاتب القديمة وهي من الرسائل النادرة الوجود مؤلفها الشيخ عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي من اهل القرن العاشر للهجرة والنسخة مخطوطةٌ من عهدٍ يزيد على مئة وخمسين سنة . ولما كان مضمون هذه الرسالة مما تنوسي اكثرهُ لبعد العهد بهِ مع ما فيهِ من الغرابة على اسماع المعاصرين احببنا ان نطرف بها قرآء الضيآء بعد اسقاط ما لا يهمّ ذكرهُ ميلاً الى الاختصار ما امكن وايثاراً للتخفيف عن المطالع . وهي مقسومة الى بابين احدهما في صفة القهوة وتاريخها والثاني فيما صدر فيها من الاحكام وهذا ملخص ما في البابين

المذكورين نوردهُ بلفظ المؤلف قال

الباب الاول

في معنى القهوة وصفتها وطبعها وفي اي بلدةٍ بدأ انتشارها ولأيّ معنًى طُبخت وشُربت وعلا منارها

اعلم ان القهوة هي الشراب المتخذ من قشر البُنّ او منهُ مع حبّهِ المجحَّم بضم الميم وفتح الجيم والحآء المهملة المشددة اي المقلي . وصفتها هي ان يوضع القشر اما وحدهُ وهي القشرية او مع البنّ المجحَّم المدقوق وهي البنّية ثم يُغلى حتى تخرج خاصيّتهُ .. فمن قائلٍ بحلّها يرى انها الشراب الطَهور المباركة على اربابها الموجبة للنشاط والاعانة على ذكر الله تعالى وفعل العبادة لطلاّبها ومن قائلٍ بحرمتها مفرطٍ في ذمها والتشنيع على شرّابها وكثر فيها من الجانبين التصانيف والفتاوَى وبالغ القائل بحرمتها فادّعى انها من الخمر وقاسها بهِ وساوَى وبعضهم نسب اليها الاضرار بالعقل والبدن الى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية الى الجدال والفتن وحصول ما ادّى الى منازعاتٍ ومحن بمكة ومصر القاهرة والمنع من بيعها وكسر اوانيها الطاهرة بل الى تعزير باعتها بالضرب وغيرهِ من غير حجةٍ ظاهرة والى تأديبهم بضياع مالهم واحراق القشرة المتخذة منهُ في كرّاتٍ متواترة وبالغ الذامّ بها أن شاربها يُحشر يوم القيامة ووجههُ اسود من قعور اوانيها وكثر التقاطع والتدابر بين الفريقين والذم لمن يعانيها وسيرد عليك ما قيل في حقيقتها من السؤال والجواب مما يكشف عن وجهها لمستعملها النقاب ويوضح اباحتها على الصورة التي لا قدح فيها ولا ارتياب ويمنع من

خلاف ذلك بحجج سالكة في جادّة الصواب

فاما اشتقاق اسم القهوة كما قال العلاّمة الفخر ابو بكر بن ابي يزيد في مؤلفهِ اثارة النخوة بحلّ القهوة انها من الاقهآء وهو الاجتوآء اي الكراهة او من الاقهآء بمعنى الاقعاد من اقهى الرجل عن الشيء اي قعد عنهُ ومنهُ سميت الخمرة قهوةً لانها تُقهي اي تكرّه الطعام او تُقعِد عنهُ حسبما نُقل عمن يعرف احوالها فكذلك هذا المعنى المذكور فتكرّه او تُقعِد عن النوم الموضوعة في الاصل لإذهابهِ لما يترتب عليهِ من قيام الليل المطلوب شرعاً . على انها اولى بتسمية ذلك من الخمر لا سيما وقد تلاعبت بلفظها الصوفية وتداولتهُ وعبرت بهِ عن المحبة .. وبعضهم كان يكسر القاف ويقول القِهوة فرقاً بين القهوتين

واما طبعها فذهب كثير من الاطبآء الحذاق انها حارّة يابسة وقال آخرون انها باردة يابسة وهذا مذهب اهل الذم لها . ومن اعظم منافعها اذهاب النوم وان كان للسهر اسبابٌ كثيرة من قلة الاكل وترك التعب في النهار والقيلولة وغير ذلك مما تقرر في كتب السادة الصوفية

واما مبدأها فقال الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار ما لفظهُ . ان الاخبار قد وردت علينا بمصر اوائل هذا القرن (القرن العاشر للهجرة) بانهُ قد شاع في اليمن شرابٌ يقال لهُ القهوة تستعملهُ المشايخ الصوفية وغيرهم للاستعانة بهِ على السهر في الأذكار التي يعملونها على طريقتهم المشهورة ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة ان ظهورها وانتشارها فيهِ كان على يد المشهور بالعلم والولاية الشيخ الامام العالم العلامة المفتي المسلك جمال الدين ابي عبد الله

محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني بفتح الذال المعجمة وسكون الموحدة وفتح المهملة وبعد الهِ نون مكسورة نسبة الى ذبحان بلدة معروفة باليمن وسمعنا انهُ كان متولياً بوظيفة تصحيح الفتاوى في عدن وهي وظيفةٌ كانت بها اذ ذاك تُعرَض على صاحبها الفتاوى فيُقِرّ ما يراهُ صواباً ويكتب تحتها صح بخطهِ وينبه على ما يرى اصلاحهُ . قال وسبب اظهارهِ لها ما سمعناهُ ايضاً انهُ كان عرض لهُ امرٌ اقتضى الخروج من عدن الى برّ العجم فاقام بهِ مدةً فوجد اهلهُ يستعملون القهوة ولا يعلم لها خاصيّة ثم عرض لهُ حين رجع الى عدن مرضٌ فتذكرها فشربها فنفعتهُ فيهِ فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفةً ونشاطاً . فلما سلك طريق التصوف صار هو وغيرهُ من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناهُ ثم تتابع الناس بعدن والفقهآء والعوامّ على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغيرهِ من الحِرَف والصناعات ولم تزل في انتشار . قال ثم اني كتبت لبعض اخواننا في الله تعالى من اهل الدين والعلم بزبيد وهو الفقية الاجلّ جمال الدين ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الغفار العلوي وهو من بيتٍ كبير بزبيد مشهورٍ اهلهُ بالعلم والدين ان يبحث لي عمن شربها باليمن ممن يُعتدّ بهِ من اهل العلم والدين وعن اول حدوثها فيهِ فكان مما كتبهُ اليَّ في الجواب ما صورتهُ . وما ذكرهُ لي سيدي من البحث عمن شربها من اهل اليمن فسأل المملوك جماعةً من المعمّرين في بلدنا وأسنّهم الآن عمرًا الفقيه العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن ابرهيم العلويّ فانهُ الآن قد زاد على التسعين فاخبرني عن مبدأ امر القهوة وذلك انهُ قال كنت بمدينة

عدن فوصل الينا بعض الفقرآء السالكين وكان يعمل القهوة ويشربها وانهُ كان يعملها للشيخ العلامة خاتمة العلمآء في ثغر عدن الفقيه محمد المعروف بأفضل الحضرمي والشيخ العارف بالله محمد الذبحاني ويشربانها بمحضر الناس وكفى بهما حُجَّةً . قال العلامة ابن عبد الغفار يحتمل ان يكون الذبحاني اول من ادخلها عدن كما هو المشهور ويحتمل ان يكون غيرهُ ولكنها نُسبت اليهِ لكونهِ السبب في ظهورها والشيخ شهاب الدين الذبحاني توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة والآن سنة ست وتسعين وتسعمائة فمدتها تزيد عن مئة عام وذلك من مبدأ ظهورها باليمن لا غيرهِ لان ظهور القهوة في برّ ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرة وغير ذلك من برّ العجمّ لا يعلم متى كان اولهُ ولا سببهُ

وقال العلامة فخر الدين بن ابي يزيد المكي ما لفظهُ . قيل اول من انشأها الشيخ صالح ابو عبد الله محمد بن سعيد الذبحاني والذي بلغنا ان اول من انشأها واشاعها بأرض اليمن الشيخ العارف بالله عليّ بن عمر الشاذلي احد تلاميذ الشيخ ناصر الدين بن ميلق احد السادة المشايخ الشاذلية وانها كانت قبلاً من الكفتة اي الورق المسمى بالقات لا البُنّ ولا قشرهِ فما زالت تنتقل من بلدٍ لاخرى حتى وصلت الى عدن فعُدِمت الكفتة من عدن في زمن الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني المذكور وقال لمن يلوذ بهِ وينتمي اليهِ ان البنّ يُسهر فامتحنوا بنا قهوتهُ فامتحنوها فوجدوها تعمل عملهُ مع قله الثمن والمؤنة ثم استمرّ شربها في منشأها وغيرهِ مما لا نطوّل بذكرهِ . ولا منافاة بين الكلامين كما لا يخفى اذ من نقل الاول راى الى القهوة القشرية ومن نقل الثاني رأى الى القهوة القاتية (ستأتي البقية)